الادب الرخيص

حضرة رئيس تحرير المقتطف :

أرجو أن تأذنوا لي بكلمة تلحقونها بمقال الأستاذ ا : م بعنوان « صحافتنا تنحدر » وهو مقال يشفي الغليل فيما يلمح إليه أكثر المجلات العربية من إفراز الزبد الطافي على وجه العلم والأدب .

لقد أنحى هذا الكاتب المتألم باللائمة على الكتّاب لأنهم طلّقوا العلم والأدب الحقيقي وارتموا في أحضان الصحافة التي تتاجر بلهو بسطاء القراء . لعلّ هؤلاء الكتّاب معذورون إذا كان القلم سبب عيشهم ، ولا يرزقون إلاّ من شق القصبة . لأن أصحاب المجلات يرفضون منهم البحوث العلمية والأدبية الراقية . ولا يقبلون منهم إلاّ الغث الفكه بحجة أن سواد القراء لا يفهمون البحوث العلمية .

***

قدّم أحد المثقفين ثقافة « عالية » مقالاً نفيساً في موضوع علمي يمتّ الى إحدى النظريات العلمية الحديثة التي يود العالم والبسيط أن يعلمها أو يعلم شيئاً عنها . فرفضه عبقري الصحافة بدعوى أنّ القراء لا يفهمون هذه البحوث ولا يستلذونها . وإنه لا ينشر في مجلته إلاّ ما يروق لعامة القراء وهم السواد الأعظم .

عجباً من هم القراء غير خريجي الكليات والجامعات والأزهر ، ثم طلبة هذه الجامعات والكليات ، أليسوا هم السواد الأعظم من القراء ؟ بل هم القراء كلهم ، وما هم بالقليلين ، بل هم الذين يموّلون هذه الصحف والمجلاّت .

فقال صاحب المقال لصاحب المجلة : ألا تظن أن بين قرائك عشرة في كل مئة يفهمون هذا المقال ويستمرئون هذا الموضوع ؟ . فخصّص في مجلتك عشر صفحاتها لهؤلاء .

فقال : إن هؤلاء الذين تعنيهم لا يقرأون مجلات عربية ، بل يقتصرون على قراءة المجلات الأجنبية فأمرهم لا يهمني .

— طبعاً لا يقرأون مجلات عربية لأنهم لا يجدون إلاّ في النادر منها الغذاء العلمي

لعقولهم . قدّموا لهم كل ما يستحدّ من البحوث العلمية الحديثة تجدوهم يقبلون على مجلاتكم ويجتنبون عن المجلات الأجنبية .

أقول بكل أسف أن تجار الصحافة لا يرمون بصحافتهم إلى بثيان الثقافة في الأمم العربية بتاتاً، ولا يتفنون إلاّ تفكهة بسطاء القراء لكي يبتزّوا أقصى ما يستطيعون من المال . ولكنهم مخطئون بهذا الظن ، لأنهم إذا أضافوا الى جانب الفكاهة الصحفية جانب الفائدة العلمية والأدب الراقي ، أضافوا الى قرائهم قراءً آخرين يزيدون مكاسبهم .

ولا بدع فإن معظم تجار الصحافة لا يعرفون إلاّ أن الأدب العالم المزخرف هو الثقافة العلمية الراقية عندهم . وقد جهلوا أن مدنية الأمم ليست نتيجة هذا الأدب الطائش ، بل هي ثمرة العلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى الفلسفية . فالفضيلة الذرية لم تكن ثمرة شعر هكسير ، أو « لنغ فو » ، ولا أدب مارك توين ، وأناطول فرنس وغيرهم . هي ثمرة علم روذرفورد ، واينشطين ، وبلانك ، ومكسويل ، وشادويك ، ولورانس ، وبوانكاره (العالم) وأمثالهم

فكيف نتوقع أن تكون لنا مدنية عربية جديدة اذا أسرعنا في الفكاهات والقصص والأدب العربي القديم ، الذي نلوكه نائمين اننا نحصه ونهذبه، فلا نلبث أن نرانا قد تقيأناه فاسداً نتناً .

نحن الآن في عصر العلم الناضج ولا نستطيع أن نجاري الأمم المعاصرة الاّ اذا شاركناها في الثقافة العلمية . والاّ فاذا اقتصرنا على الأدب السخيف الفكه الذي لا غذاء منه للعقل العلمي فكأننا نتقهقر الى عصور الجهالة والخرافات .

ويا ليتنا نعود بهذه التهقرى الى عصر العرب العلمي القديم ، فكأننا نعود الى أسس العلم الحديث . فقد عرف العرب أن أساس المدنية هو العلم، فطرقوا كل باب علمي على قدر ما بلغ اليه العلم في زمانهم ، فأخذ الافرنج عنهم علمهم كأساس وبنوا عليه .

ولكن بكل أسف لم نعد الى الأدب العربي القديم الاّ للتفكه في أمثال الف ليلة وليلة والسندباذ .

ان هذا التقصير في خدمة الثقافة العامة التي ابني عليها مدنيتنا هو تقصير صحافتنا أولاً وجهالة تجّارها ، ولا ذنب فيه لطلبتنا وأدبائنا ومحامينا . فهؤلاء منبوذون من الميدان . والميدان لم يتسع الاّ لسقط المتاع . فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

(. . .)